

الظواهر اللغوية والنحوية في القرآن الكريم

أحمد الحسن سماعة*

مباحث البحث:

- 1 - يعالج هذا البحث الظواهر اللغوية والنحوية في القرآن الكريم مما جاء قياساً على المسموع من كلام العرب، ويستعرض الباحث تلك الظواهر من منظور منهج جمهور المفسرين في التبيان، ومنهج اللغويين في السماع، ومنهج النحويين في القياس.
- 2 - فنّد الباحث فيه أقوال أصحاب الرؤى المخالفة، مؤسساً حجته على الآتي:
 - أ - القرآن الكريم هو خاتم الكتب، أنزله الله على خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ، وأن ما ظاهره لحن في القرآن إنما هو من ضروب بلاغة القرآن وفيها ما أعجز ويُعجز.
 - ب - إن ما ظاهره (لحن) في كثير من الآيات التي عرضنا لها في هذا البحث وفي غيرها مما لم نعرض له؛ هي ظواهر إعجازية، ووجه الإعجاز فيها يتمثل في أن القرآن الكريم؛ قد نزل متضمناً لغات العرب - أي لهجاتها - إنْ بلفظها وإنْ بمعناها ومن هذه اللغات ما هو شاذ بحكم المسموع من كلام العرب قياساً على منهج النحاة وأهل اللغة وعلى قياسهم وردت القراءات الشاذة.

* دكتوراه في اللغة العربية من كلية الآداب، جامعة الخرطوم؛ أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

- ج - لقد بينّا أن تلك الظواهر في القرآن إنما هي لغات قالتها العرب ثم حكاها القرآن بلفظها، وهي على كل حال ظواهر محدودة، وهي في لغات العرب محدودة كذلك.
- د - ليس ما يتوهم أنه لحن في القرآن بلحن؛ إنما هو - على ما أشرنا - لغات حكمتها العرب، فجاء القرآن بذكرها إمعاناً في التحدي.
- هـ - لم يُنقل عن الرسول ﷺ وهو أفصح العرب أنه استنكر بعض لغات العرب لا سيما الشاذ منها، وعلة ذلك ورودها في القرآن .
- و - إن القبائل - باختلاف لغاتها - كانت في قراءتها تحرص على روايتها ولا ترضى الواحدة برواية الأخرى بديلاً.

مسائل البحث:

قدّر الزمخشري،¹ وابن كثير،² وابن الكلبي،³ وأبو البقاء العكبري،⁴ والنحاس،⁵ وابن المثني،⁶ وابن الأنباري،⁷ في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ أَوْ نَجِّنٌ﴾ (طه: 63) اسم إن ضمير شأن محذوف و"هذان ساحران" مبتدأ وخبر، والجملة في محل رفع خبر إن، وعزا ابن عباس رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ أَوْ نَجِّنٌ﴾ إلى اللغة لا إلى الإعراب، وعزا الفراء⁸ لبعض القراء قولهم: هو لحن، لكننا غمضي عليه لئلا نخالف الكتاب.

وفي القرآن كثير من هذه الظواهر اللغوية التي ظاهرها اللحن وليس بلحن، وقد

1 جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف (القاهرة: دار الفكر، د. ت)، ج 2، ص 543.

2 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (بيروت: دار الجيل/ الخرطوم: الدار السودانية، ط 1، 1408هـ/ 1988م) ج 3، ص 153.

3 محمد بن أحمد بن الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل (د. ت) ج 3، ص 15.

4 أبو البقاء عبد الله العكبري، إعراب القرآن (بيروت: دار الكتب العلمية، 1979م) ج 3، ص 43.

5 أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، إعراب القرآن، تحقيق د. زهير غازي (عالم الكتب، 1405هـ/ 1985م) ج 2، ص 123.

6 أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سزكين (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 2، 1401هـ/ 1981م) ج 2، ص 21-23.

7 أبو البركات بن الأنباري، البيان في إعراب غريب القرآن، تحقيق طه عبد الحميد طه، ومراجعة مصطفى السقا (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1400هـ/ 1980م) ج 2، ص 14.

8 عبد الله بن عباس، تنوير المقباس، شرح مجد الدين الفيروزآبادي (بيروت: دار الفكر، د. ت) ص 263.

9 أبو زكريا يحيى بن زباد الفراء، معاني القرآن، تحقيق: نخاعي، والنجار، شكيب، وناصف (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1966م) ج 2، ص 18.

تصدى بعض النحاة للرد على من ادعى أنها لحن تعلقاً بحديث عائشة - رضي الله عنها - عن عروة، قال: ¹⁰ سألتها عن لحن القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ أَوْ نَكَّاشٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ (النساء: 162)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ (البقرة: 62).

فقلت عائشة: يا ابن أخي هذا عمل الكتاب أخطأوا في الكتاب.

وحديث عثمان بن عفان ¹¹ أنه قال لما عرضت عليه المصاحف: إن فيه لحناً ستقيمه العرب بألسنتها.

قال السيوطي وغيره من أئمة اللغة: إن ما يبدو من لحن إنما هو مؤول على أشياء خالف لفظها رسمها كما كتبوا: ﴿لَا أَذْبَحُهَا﴾ (النمل: 21) قد كتبت هذه الكلمات ألف بعد "لا" ولو قرئ ذلك بظاهر الخط لكان لحناً.

وحصرت العلماء ما يعتري اللفظ القرآني من تغيير في وجوه سبعة:

الأول: اختلاف وجوه الإعراب بصرف النظر عن المعنى.

الثاني: اختلاف الحروف مثل: "يعلمون وتعلمون"، و"ننشرها وننشرها"، و"الصراط والسراط".¹²

الثالث: اختلاف في الأفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث كقراءة بعضهم ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: 8) قرئ ﴿لَأَمَانَتِهِمْ﴾.

الرابع: ترادف بعض الكلمات لاختلاف القبائل في مثل ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ (القارعة: 5) قرئ ﴿كَالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ﴾ ومثل ذلك قرب المخارج نحو ﴿طَلَحَ مَنْضُودٌ﴾ (الواقعة: 29) قرئ ﴿طَلَعَ مَنْضُودٌ﴾.

الخامس: التقديم والتأخير: نحو ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ (التوبة: 111).

¹⁰ عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر (القاهرة: دار إحياء الكتب، 1958م) ص 76.

¹¹ السيوطي، الاقتراح في علم العربية (القاهرة: مطبعة السعادة، د. ت) ص 37.

¹² السيوطي، الإتيان في علوم القرآن (بيروت: المكتبة الثقافية، 1983م) ج 1، ص 183.

السادس: الزيادة والنقصان جرياً على عادة العرب نحو قوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (التوبة: 100)، قُرئ ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

السابع: اختلاف القبائل في الفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والهمز والتسهيل وكسر حروف المضارعة وقلب بعض الحروف كقراءة بعضهم في ﴿حَتَّى حِينَ﴾ (الصفات: 173) (عَتَى حِينَ) بلغة هذيل.

شروط القراءات

أما القراءات فقد جعل جمهور العلماء لها شروطاً ثلاثة:

الأول: موافقة القراءة لرسم أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرًا.

الثاني: موافقتها قواعد العربية ولو بوجه.

الثالث: صحة إسنادها، وقد أبدل ابن الجزري هذا الشرط - بتواترها؛ لأنها لا تثبت إلا بالإسناد المتواتر وبها تكون القراءات الأربع الزائدة صحيحة الإسناد ولكنها أحادية السند فليست متواترة وهي بالتالي ليست قرآناً يُتلى ويُتعبّد به، وتصبح القراءات المجمع على تواترها هي السبع.¹³

والقراءات المتممة للعشر تختلف على تواترها والأصح أنها متواترة، أما الأربع الباقية فمتفق على شذوذها وبذلك تصبح القراءات المقبولة هي العشر دون غيرها، وخالف المفسر العلامة عبد الله الطيب هذا القول وزعم أن جميع القراءات التي جاءتنا من السلف حجة، وعلى ذلك لا يصح قول من قال بشذوذها (حاشا) ما ثبت منها بالإسناد المتواتر.

القراءات الشاذة:

أما القراءات الشاذة فقد ورد منها:

¹³ انظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مصدر سابق، ص 76، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، ص 183، الزخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج 2، ص 143.

عمران:92) في قراءة ابن مسعود.18

(تكفروه) بالتاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ (آل عمران:115) في قراءة نافع.19

(يُذِرْكُمْ) بالضم في قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمْ الْمَوْتُ﴾ (النساء:78) في قراءة طلحة بن سليمان.20

(رِدُّوا) بكسر الراء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ (الأنعام:22) في قراءة يحيى بن وثاب.

(زَيْن... قتل) بالضم في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ (الأنعام:137) في قراءة عبد الرحمن والحسن.21

قال النحاس:22 هذه قراءة أهل الحرمين وأهل الكوفة وأهل البصرة إلا عبد الرحمن والحسن فإنهما قرأا ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ﴾ بضم الزاي ﴿لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ﴾ برفع قتل، وخفض أولادهم، و﴿شُرَكَائِهِمْ﴾ بالرفع.

وقرأ بعضهم ﴿قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ برفع قتل ونصب أولادهم وخفض شركاؤهم.

وقرأ بعضهم ﴿قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ برفع قتل ونصب أولادهم وخفض شركاؤهم.

فهذه أربع قراءات، الأولى أبيتها وأصحها - على قياس النحاة تنصب - (قتل) (بزَيْن)، وخفض (أولادهم) بالإضافة، و(شركاؤهم) رفع بزَيْن لا بالقتل.

(خالصة) في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ﴾ (الأنعام:139)

18 المرجع نفسه، ج2، ص211.

19 أبو حيان، البحر المحیط، مصدر سابق، ج3، ص36.

20 ابن جني، المحصب، مصدر سابق، ج1، ص193.

21 أبو حيان، البحر المحیط، مصدر سابق، ج4، ص29؛ ابن جني، المحصب، مصدر سابق، ج1، ص229؛

النحاس، إعراب القرآن، مصدر سابق، ج2، ص97.

22 النحاس، إعراب القرآن، مصدر سابق، ج2، ص97-98.

- قرأها قتادة (خالصة) بالنصب وقرأها ابن عباس (خالصة) بالكسر.²³
- (أحسن) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾
(الأنعام: 154) بالضم في قراءة يحيى بن يعمر والحسن والأعمش وابن إسحاق.²⁴
- (ويذرهم، ويذرهم، ويذرهم) بالرفع والنصب والجزم في قوله تعالى: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الأعراف: 186)، قال الأشموني:²⁵
الجزم بالعطف، والرفع على الاستئناف، والنصب بأن مضمرة، ونسب أبو حيان²⁶
قراءة الجزم للكسائي والأعمش وخلف - ولم ترد قراءة النصب عنده.
- (عباداً) بالنصب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ﴾
(الأعراف: 194) في قراءة سعيد بن جبيرة.²⁷
- (فشرذ) بالذال المعجمة في قوله تعالى: ﴿فَشَرَّذْ بِهِمْ﴾ (الأنفال: 57) في قراءة ابن
مسعود والأعمش والمطوعي.²⁸
- (عشر) بسكون الراء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾
(التوبة: 36) في قراءة حفص.²⁹
- (عِدَّة) و(عِدَّة) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عِدَّةً﴾ (التوبة: 36)
في قراءة عاصم، وقرأها غيره (عِدَّة).³⁰
- (فلتفرحوا) في قوله تعالى: ﴿وَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ (يونس: 58) في قراءة أبي حيصن
وأنس وابن عامر.³¹
- (ولا تبعان) بالإسكان في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَبِيعَا﴾ (يونس: 89) في

23 ابن جني، المحجب، ج1، ص232.
24 أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج4، ص255؛ ابن جني، المحجب، مصدر سابق، ج1، ص234.
25 الأشموني، أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ج4، ص24.
26 أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج4، ص433.
27 الأشموني، أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ج1، ص255.
28 ابن جني، المحجب، مصدر سابق، ج1، ص280؛ أبو حيان، البحر المحيط، ج4، ص509.
29 أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج5، ص338.
30 الأشموني، أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ج2، ص37.
31 أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج5، ص172؛ ابن جني، المحجب، مصدر سابق، ج1، ص302.

قراءة ابن ذكوان ويزيد بن القعقاع، ورؤي أن رسول الله ﷺ قرأ بها.³²

(حاشاً) في قوله تعالى: ﴿حَاشَا لِلَّهِ﴾ (يوسف: 31) في قراءة أبي السَّمَال أي تنزيهاً، كما يُقال: سُقياً ورُعياً، وقرأها ابن مسعود (حَاشَا لِلَّهِ)، قال الأشموني: والوجه في قراءة من ترك التنوين أن تكون مبنية لشبهها بحاشا الحرفية لفظاً ومعنى.³³

وتأتي حاشا على ثلاثة أوجه:

الأول: استثنائية وهي بمنزلة إلا.

الثاني: تكون اسماً كما في الآية فقد جاءت اسماً مرادفاً للتنزيه منصوب انتصاب المصدر الواقع بدلاً من اللفظ بالفعل على غرار ما جاء في قراءة ابن مسعود (حَاشَا لِلَّهِ) بالإضافة كعماذ الله، وسبحان الله.

الثالث: تكون فعلاً متعدياً متصرفاً نحو "حاشيته"، بمعنى استثنيته.

(طبيي) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ﴾ (الرعد: 29) في قراءة بعضهم.³⁴

(يَا بُشْرَى) في قوله تعالى: ﴿يَا بُشْرَى﴾ (يوسف: 19) في قراءة الحسن وأبي إسحاق وعاصم، ونسب النحاس هذه القراءة لأهل الكوفة.³⁵

(تَهَوَّى) في قوله تعالى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ (إبراهيم: 37) في قراءة علي بن أبي طالب وزيد بن علي ومجاهد رضي الله عنهم.³⁶

(وَعَدَهُ رَسُولُهُ) في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ (إبراهيم: 47) قرئ بها، قال أبو حيان: ولم تُنسب هذه القراءة لأحد.³⁷

(خَلَفَكَ) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَا يَلْبَثُونَ خِلاَفَكَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (الإسراء: 76) في

³² أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج 5، ص 187.

³³ الأشموني، أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ج 4، ص 310.

³⁴ أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج 1، ص 29.

³⁵ النحاس، إعراب القرآن، مصدر سابق، ج 2، ص 319.

³⁶ ابن جني، المحتسب، مصدر سابق، ج 1، ص 364.

³⁷ أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج 5، ص 439.

(إِلَّا أَنَّهُمْ) بالفتح في قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ (الفرقان: 20) في قراءة ابن جبير.

قال رضي الدين في شرح الكافية: 48 كما قرئ في الشواذ: (وَأَنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال: 42).

(مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدٍ) بالكسر في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ (الروم: 4)، في قراءة أبي السمال، والجحدري، وفي قراءة (مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدٍ) بالتنوين، 49 ولم تنسب هذه القراءة لأحد.

(وَمَلَايَكُتُهُ) بالضم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ﴾ (الأحزاب: 56) في قراءة ابن عباس. 50

(لَا عَلَى) في قوله تعالى: ﴿وَرِنَا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (سبأ: 24) في قراءة أبي محيصن. 51

(أَنذَرْتَهُمْ) بدون همز في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يس: 10) في قراءة أبي محيصن والزهري. 52

(صَيِّحَةً) بالضم في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً﴾ (يس: 29) في قراءة أبي جعفر وشيبة والأعرج. 53

(وَأَنْ كُلَّ) في قوله تعالى: ﴿وَأِنْ كُلَّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُخَضَّرُونَ﴾ (يس: 32) في قراءة الكوفيين. 54 قال النحاس: هذه إنَّ الثقيلة في الأصل خُففت فزال عملها

48 رضي الدين الاسترابادي، شرح الكافية (بيروت: دار الكتب العلمية، 1405هـ/1985م) ج2، ص256.

49 الإسموني، أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ج2، ص269.

50 أبو حيان، البحر المحیط، مصدر سابق، ج7، ص248.

51 الإسموني، أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ج3، ص110.

52 ابن جني، المحصب، مصدر سابق، ج2، ص204.

53 أبو حيان، البحر المحیط، مصدر سابق، ج7، ص332.

54 النحاس، إعراب القرآن، مصدر سابق، ج3، ص393.

في أكثر اللغات ولازمتها اللام فرقاً بينها وبين إنَّ التي بمعنى ما.

(حِينَ) في قوله تعالى: ﴿وَلَاتَ حِينَ﴾ (ص:3) في قراءة أبي السَّمَال⁵⁵ وقرأ عيسى بن عمر (وَلَاتَ حِينَ) بالتونين.

هذه القراءات قوبلت من قبل النحاة المتقدمين بالإنكار والإعراض لمخالفتها للقياس العام، ونادوا بعدم الالتفات إلى الشواذ والنادر قال الميرد⁵⁶: إذا جعلت النوادر والشواذ غرضك واعتمدت عليها في مقاييسك كثرت زلاتك.

وكان المازني أستاذ الميرد سباقاً في رد النادر والشاذ من الروايات والقراءات، وأسهم بعض نحاة الكوفة في هذا؛ فالقراء يُلحَن بعض القراء الذين تواترت قراءاتهم في السبع ومن قبله الكسائي كانت له مشاركة في رد قراءة بعض القراء.

ونقل أبو حيان وغيره⁵⁷ عن القراء في بعض القراءات قوله: لعلها من وهم القراء؛ فإنه قل من سلّم منهم من الوهم.

أما النحاة المتأخرون - كما نوهنا - فيرون: أن كل ما ورد في القرآن وُقرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواتراً أم أحاداً أم شاذاً، وعابوا على النحاة المتقدمين رد بعض القراءات وتلحين القراء فيها، وقالوا: إنَّ هذه القراءات ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مطعن فيها.

هذه الظواهر التي نلتمسها في القرآن هي مما نجده في كلام العرب وهذا دليل على أنها لغات؛ فهي حُجّة على ما ذهب إليه أبو الفتح عثمان بن جني، وظهر ذلك في إعراب جمع المذكر السالم وهو الجمع الذي سلم فيه بناء الواحد، وكان علماً لمُذكر عاقل خال من تاء التأنيث ومن التّركيب، نحو (عامر) أو كان صفة لمُذكر عاقل خالية من تاء التأنيث، وليس من باب "أفعل فعلاء" ولا من باب "فعلان

⁵⁵ أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج7، ص383.

⁵⁶ أبو العباس محمد بن يزيد الميرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1399م) ج1، ص115.

⁵⁷ انظر: عبد القادر بن عمر البغدادي، خزنة الأدب (القاهرة: المطبعة الأميرية بولاق، نشر دار صادر، ط1) ج2، ص376، 377؛ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق برشزاسر (بيروت: دار الكتب العلمية، 1400هـ) ج2، ص254، 298.

فعلى" ولا مما يستوي فيه المذكر والمؤنث. وأشار ابن مالك إلى ما ألحق بجمع المذكر السالم في إعرابه بالواو رفعاً والياء نصباً وجرّاً وذلك في قوله: 58

وارفع بواو وبيا اجرز وانصب سالم جمع عامر ومذنب
وشبه ذين وبه عشرونا وبأبؤه الحق والأهلونا
أولو وعالمون عليونا وأرضون شذ والسنونا
وبابه ومثل حين قد يرد ذا الباب وهو عند قوم يطرد

قال ابن عقيل في شرحه: 59 فهذه كلها ملحقة بجمع المذكر السالم وذكر ابن معط: 60 أنها غير مستكملة للشروط وهذه علة الإلحاق.

وأشار ابن مالك إلى باب (سنين) وهو كل اسم ثلاثي حذفت لامه وعوّض عنها هاء التأنيث ولم يُكسّر (كمائة ومئتين وثبة وثبين).

وذهب ابن عقيل: 61 إلى أنّ هذا الاستعمال شائع لا سيما في هذا الباب (كشفة وشفاه) لم يُستعمل إلا شذوذاً، وجمعه أيضاً بالواو رفعاً وبالياء نصباً وجرّاً، فقالوا: (ظُبُون وظُيُن)، ومن ذلك أيضاً (إرة وإرين) و(قلة وقلين).

قال الأشموني: 62 وأصل إرة - وهي موضع النار - إرى، وأصل قلة - عودان يلعب بهما الصبيان - قلو؛ فهذه جميعها جموع تكسير لتغير لفظ الواحد فيها ولكنها أُجريت مجرى الصحيح في الإعراب تعويضاً عن المحذوف. 63

وكثر هذا الاستعمال في باب سنين؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَيْتُمْ فِي

58 أبو عبد الله محمد بن مالك، الألفية، مطبوعة ضمن "مهمات المتون" للبركوي (بيروت: دار الفكر، ط4، 1949م) باب "المعرب والمبني".

59 بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح الألفية، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (دار إحياء الكتب العربية، د. ت) ج1، ص62؛ ابن مالك، الألفية، مصدر سابق، باب "المعرب والمبني".

60 يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزوازي، الفصول الخمسون، تحقيق محمود الطناحي (مطبعة الخريجي، د. ت) ص162.

61 ابن عقيل، شرح الألفية، مصدر سابق، ج1، ص64.

62 الأشموني، أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ج1، ص95.

63 بدر الدين بن محمد بن جمال الدين بن مالك بن النازم، شرح الألفية، تحقيق د. عبد الحميد السيد محمد عبد

الحميد (بيروت: دار الجيل، د. ت)، ص47.

لِلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿ (المؤمنون: 112)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾
 (الحجر: 91)، أي أجزاء: حق وباطل، وقوله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾
 (المعارج: 37)، أي جماعات من الناس.

قال سيبويه: ⁶⁴ ومن ذلك أيضاً لِدَة و"لِدين"، و"رقة" و"رقين".

وذكر ابن مالك: ⁶⁵ أنَّ (سنين) قد يُستعمل مثل حين ونحوه ؛ فتلزمه الياء ويُجعل إعرابه بالحركات على النون منونة غالباً ولا تُسقطها الإضافة، ومن ذلك الحديث الشريف: "اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنيين يوسف" ⁶⁶، وروي أيضاً - على لغة عامة العرب -: "اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسني يوسف" بالحذف رواه أنس، وذكره البخاري تحت باب الاستسقاء. ⁶⁷

ومن ذلك قول الصمة بن عبد الله القشيري: ⁶⁸

دَعَانِي مِنْ نَجْدٍ فَإِنْ سَنِينَهُ
لَعِبْنَا شَيْباً وَشَيْبَتَنَا مُرْداً

فأجرى (سنين) مجرى حين في الإعراب بالحركات وألزم النون مع الإضافة وأشار ابن مالك⁶⁹ إلى أن إجراء سنين ونحوه مجرى حين مطرد عند قومٍ من النحويين، قال ابن الناطم:⁷⁰ منهم القراء.⁷¹

قال الفراء في (عُضَيْن): واحدة العُضَيْن عِضَّة، رفعها (عُضُون) ونصبها وخفضها (عُضَيْن) ومن العرب من يجعلها بالياء على كل حال ويعرب نونها فيجرونها مجرى

⁶⁴ أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب (مصر: بولاق، 1316هـ) ج 2، ص 62، 79، 80، 122، 190، 192.

65 ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات (دار الكتاب للطباعة، 1387هـ/

(1967م) ص 14، 15؛ ابن مالك، الألفية، باب المعرب والمبني.

66 ابن النازم، شرح الألفية، مصدر سابق، ص 46.

67 صحيح البخاري، باب الاستسقاء.

68 انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، مصدر سابق، ج، 1، ص 65.

69 ابن مالك، الألفية، مصدر سابق، باب المعرب والمبني.

⁷⁰ ابن الناطم، شرح الألفية، مصدر سابق، ج 1، ص 48.

71 الفراء، معاني القرآن، مصدر سابق، ج2، ص92.

سنين فيقولون (عضنيك) في الرفع و(عضنيك) في النصب والخفض.⁷²

وعدم التزام بعض العرب بإعراب المثنى جارٍ تماماً كالذي في الجمع وهذا كثير
في شعرهم وأقوالهم ومنه قول رؤبة:⁷³
أعرف منها الجيد والعينانا ومنخيرين أشبها ظيئانا

قال (العينانا)، حيث فتح النون في المثنى بعد الألف. وجاء بالمثنى بالألف في حالة
النصب، وهذه لغة جماعة من العرب، وقد تقدّم ذكرهم.

ومنه قول سحيم بن وثيل الرباعي:⁷⁴
وماذا تبتغى الشعراء منى وقد جاوزت حدّ الأربعين

قال: "الأربعين" حيث كسر النون في جمع المذكر.

ومنه قول جرير:⁷⁵
عرفنا جعفرًا وبني أبيه وأنكرنا زعانف آخرين

قال : (آخرين) حيث أعربه بالياء إعراب جمع المذكر السالم، ثم كسر النون
بعدها وهي في لغة جمهرة العرب مفتوحة.

ومنه قول الآخر:⁷⁶
يا أبتا أرقني القرآنُ فالنوم لا تألفه العينانُ

قال: (العينانُ) بضم النون في المثنى وهي لغة بعض العرب وهذا إنما يجيء مع
الألف لا مع الياء.

⁷² عبد الله بن يوسف بن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط6، 1980م) ج1، ص37.

⁷³ ديوانه

⁷⁴ انظر: ديوانه؛ المرد، المقتضب، مصدر سابق، ج3، ص332، ج4، ص37

⁷⁵ ديوانه؛ والأشعري، أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ج1، ص89.

⁷⁶ ديوانه؛ النحاس، إعراب القرآن، مصدر سابق، ج4، ص166.

وسَمِعَ تَشْدِيدُ نونِ الْمُثْنَى فِي تَثْنِيَةِ الْإِشَارَةِ وَالْمَوْصُولِ، وَقَدْ قُرِئَ بِالتَّشْدِيدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا﴾ (النساء: 16)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَدَانُكَ بُرْهَانَانِ﴾ (القصص: 32)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِحْدَى ابْنَيْ هَاتَيْنِ﴾ (القصص: 27) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا أَرْنَا اللَّذِينَ أَضَلَّانَا﴾ (فصلت: 29).

قال السيوطي وغيره: ⁷⁷ وتحذف هذه النون للإضافة إما ظاهرة نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾ (القمر: 27)، وقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ (المسد: 1) ولشبهه الإضافة نحو: "لا غلامي لعمرو، ولا مكرمي لعمرو"

أو مقدرة كقول تأبط شراً: 78

هما خطتا إما إيسار ومينة وإما دم والموت بالحرر أجدر

قال: (خُطَّتَا) بجذف النون للإضافة فيمن رواه بالحذف وفصل بين المنضايين بإمّا، ويُروى البيتُ بالرفع هكذا: "إِما إِسارٌ ومِنةٌ".

وعلى ذلك يكون الحذف ضرورةً.

وحذف بعضهم النون لتقصير الصلة نحو قولهم: "الضارباً زيداً والضاربو عمراً" وحكى المبرّد⁷⁹ عن سيبويه⁸⁰ قوله: "وحذف النون لطول الاسم إذا صار ما بعد الاسم صلة له وذلك تخفيفاً له ومن ذلك قول الأخطل:

أبني كليب إن عمي للذا
قتلا الملوك وفككا الأغلال

وقول الأشهب بن نويرة:

وإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بَفْلَجِ دِمَائِهِمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ مَالِكِ

فحذف لطول الصلاة.⁸¹

⁷⁷ السيوطي، همع المرواع شرح جمع الجوامع (القاهرة: مطبعة كردستان العلمية، 1938) ج 1، ص 49.

78 ديوانه، انظر: الأشموني، أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ج2، ص267.

⁷⁹ المبرد، المقتضب، مصدر سابق، ج 4، ص 146.

80 انظر: ابن جني، المحاسب، مصدر سابق، ج1، ص185.

81 سبيويه، الكتاب، مصدر سابق، ج 1، ص 96.

قال الفراء: وهم يحذفون ما طال في كلامهم، وذهب الميرد إلى أن ذلك مما تختص به اللذان واللثان

خلاصة البحث ونتائجه:

استكمالاً لمحاور البحث الوارد ذكرها واستقراءً لمفرداته ؛ فإننا نخلص إلى النتائج الآتية:

أ - إن القرآن الكريم هو خاتم الكتب، أنزله الله على خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ، وفيه من ضروب البلاغة ما أعجز ويُعجز.

ب - إن ظاهرة (اللحن) في كثير من الآيات التي ورد ذكرها وفي غيرها مما لم نذكر هي ظواهر إعجازية، وظاهر الإعجاز فيها يتمثل في أن القرآن الكريم قد نزل مُتضمناً لغات العرب - إن بلفظها و إن بمعناها -، وبعض هذه اللغات - كما رأينا - شاذة وعلى قياسها وردت القراءات الشاذة خلافاً للمسموع من كلام العرب .

ج - لقد رأينا أن تلك الظواهر في القرآن ظواهر محدودة وهي في لغات العرب محدودة كذلك.

د - ليس ما يُتوهم ظاهره لحن في القرآن بلحن ؛ إنما هو لغات حكمتها العرب فجاء القرآن بتلك اللغات إمعاناً في التحدي .

هـ - لم يُنقل عن الرسول ﷺ وهو أفصح من نطق، أنه أنكر بعض لغات العرب لا سيما الشاذ منها.

و - إن القبائل - باختلاف لغاتها - كانت في قراءاتها تحرص على لغتها ولا ترضى عن الأخرى بديلاً.

ومن خلال معالجة الموضوع على النحو السابق يمكننا أن نستنتج أن ما ظاهره لحن في القرآن (وهو في الحقيقة ليس بلحن) مردّه إلى ما يأتي:

1 - اختلاف وجوه الإعراب.

- 2 - اختلاف الحروف.
- 3 - اختلاف القراءة في اللفظ الواحد.
- 4 - ترادف بعض الكلمات.
- 5 - التقديم والتأخير.
- 6 - الزيادة والنقصان.
- 7 - الاختلاف في ضبط الأصوات.
- 8 - اختلاف لغات العرب.
- 9 - اختلاف الرسم الإملائي.
- 10 - اختلاف علامات الضبط.

1

2

3

4

5